ادب النديم

لأديب زمانه وأريب عصره وأوانه

أبي الفتح محمود بن الحسين الكاتب

المعروف بكشاجم لازل

منهلا عليه احسان

ربه الكريم

الدائم

obeikandl.com

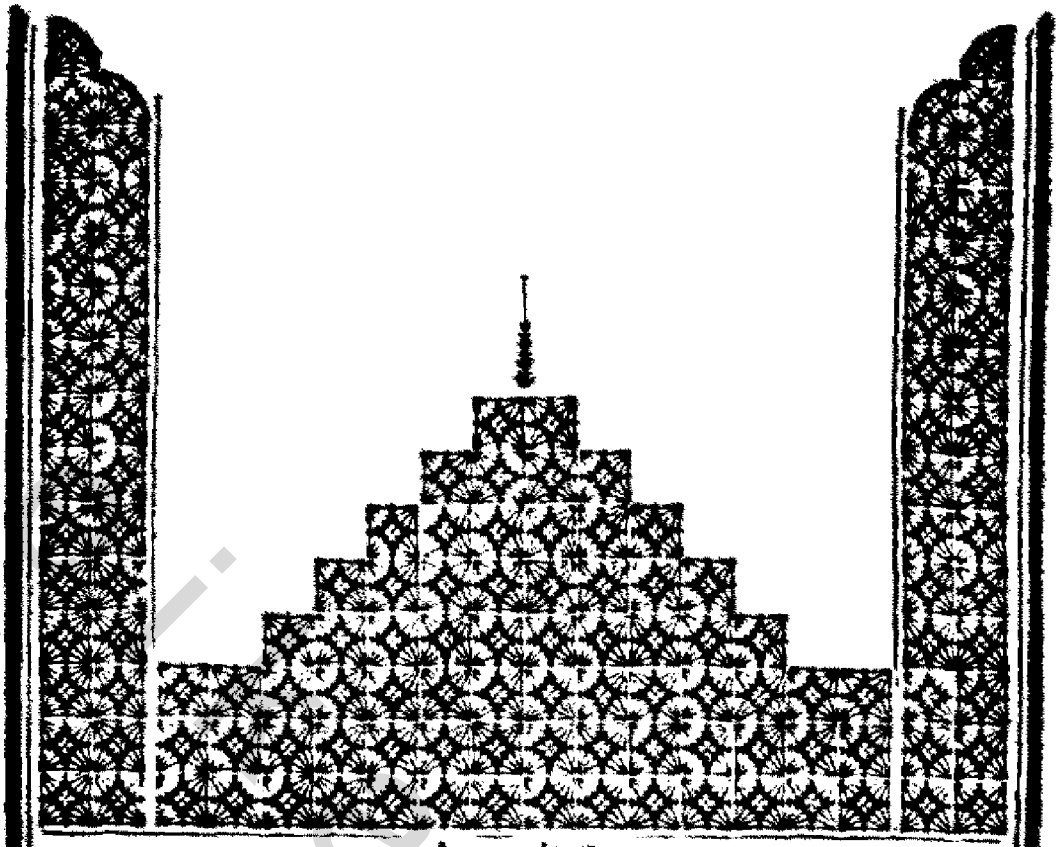

(بسم الله الرحمن الرحيم)

أما بعد حمد الله بكنه النية والثناء عليه بغاية الاستطاعة وشكره على ما خص به أهل الادب من الفضيلة وأحلهم اياه من المنزلة الرفيعة لالتباسهم بالنفوس وتمكنهم من القلوب وتنزههم عن العيوب فاني وجدت من تقدم من العلماء وعنى بتاليف الكتب من الادباء قد جردوا بذكر الشراب كتبا ضمنوها من نعوت أصنافه وأوصاف شربه وعلله وتبيين خصاله ولطائفه وحدود منافعه ومضاره وضروب ملاذه ومساره وما استغرقوا فيه المعنى واستوفوا به المدى وأغفلوا ذكر الندم بما يجب ذكره والتنبيه على منزلته ووقعه وافراده من القول بما يبين عن فضله ويدل على محله الا في جمل أدرجوها ولم يبسطوها ولع في أطراف الكتب فرقوها ولم يؤلفوها (فاحببت) أن أجرد في ذلك كتابا أفصله

وابوبه

وأبوبه وأوفى كل معنى فيه حقه وأضم الى كل شكل شكله وأجمع الى ما تستطيبه القريحة أحسن ما وجدته فى هذا المعنى متفرقا فى أمثال الحكماء ومنظوم الشعراء ومنثور البلغاء وأخبار الظرفاء وأودعه من أدب النديم ما لا يستغنى عنه شريف ولا يجوز أن يخل به ظريف ليكون منهجا واضحا لمن تظرفه وإماما يقتدى به من وقع اليه واسأل الله حسن التوفيق لسديد المقال والسلامة من الزلل والعثار بمنه وقدرته

باب مدح النديم وذكر فضائله

وذم المنفرد بشرب النبيذ

(أخبرنى) جماعة من الموثوق بهم فى اللغة ان العرب انما سمت النديم نديما لانه يندم على قراقه وخرامر وُالقِدْح مع شربه وملوكيته بالندام فقال

ونادمت قيصر فى ملكه ٭ فأوجهنى وركبت البريدا

وقال المتقدمون كاتب الرجل لسانه وحاجبه وجهه وجليسه كله وقالوا اذا وليت عملا فانظر من كاتبك فانما يعرف مقدارك من بعده عنك بكتابك واستعقل حاجبك فانه يقضى عليك الوفود قبل الوصول اليك بحاجبك واستظرف نديمك فانما يزلك الداخل اليك بعثة قال من يرادمك وفاخر كاتب نديما فقال الكاتب أنا معونة وأنت مؤنة وأنا للجد وأنت للهزل وأنا للشدة وأنت للذة وأنا للحرب وأنت للسلم فقال النديم أنا للنعمة وأنت للخدمة

وأنا للحناوة وأنت للمهنة تقوم وأنا جالس وأنت تحتشم وأنا مؤانس تدأب لراحتي وتشقى لسعادتي فأنا شريك وأنت معين كما أنك تابع وأنا قرين الآن بعض البخلاء يقول

اذا وجدت المدام فاغن بها * عن كل من في ندامه عنف
في شربها من ندامه خلف * وليس فيه من شربها خلف
فلا يشاركك في السرور بها * مشارك كل شركه أسف

فما زاد بهذا القول على أن بين مكانه من البخل والجهل بل هو في ذلك كما قال أبو نواس * حفظت شيأ وغابت عنك أشياء * ولعمري ان للنبيذ الفضائل التي لا تدفع والخصائص التي لا تجحد والقوى التي تعكس الاضداد وتعدل المزاج وتصح الطباع وهو الموصوف بتشجيع الجبان وتقوية الجنان واطلاق اللسان وتبسيط البنان الا ان فيه بازاء هذه الخلال أشياء تقدح في محاسنه وتبين عن معايبه منها أن صاحبه يتكرهه قبل شربه ويكلح عند شمه ويغتم أن يفضل في قدحه ويكثر عتاب ساقيه ويعاقر عليه ويمزجه لغير طعمه ويتجرعه ولا يكاد يسيغه ويستعذبه الثقل بعده ويعاني من الدوار والخمار ما لا خفاء به حتى انه قال بعض الادباء لولا أن الخمور يعلم فضله لقدم وصيته ثم السكر هو أكبر عيوبه حتى ان الملل كلها مجمعة على تحريمه غير مختلفة فيه وحتى لقد حرم الخمر في الجاهلية جماعة من كبراء العرب وأفاضلهم لما نالهم من معرة السكر منهم قيس بن عاصم السعدي وعامر بن الظرب العدواني وعفيف بن معديكرب ومقيس بن

صبابة السهمى وعبدالله بن جدعان وكثير من هذه الطبقة
نكره الاطالة بذكر أسمائهم فانيس بن عاصم فى تحريمها

رأيت الخمر مصلحة وفيها * خصال تفسد الرجل الكريما
لان الخمر تفضح شاربيها * وتجنيهم بها الامر العظيما
اذا دبت جياعا تعلت * طوالع تسفه الرجل الحليما

وقال مقيس بن صبابة

رأيت الخمر طيبة وفيها * خصال كلها دنس ذميم
ولا والله أشربها حياتى * طوال الدهر ما طلع النجوم

فأما مقيس بن صبابة فانه كان سكر فجعل يخط بيوله ويقول نعامة
أو بعير فلما أفاق اخبر بذلك فحرم الشراب * وأما عبدالله بن جدعان
فانه سكر وجعل يساور القمر فلما أصبح وخبر بذلك حرمه أيضا
(وقيل) لاعرابى تشرب النبيذ قال أشرب ما يشرب عقلى وقيل
لبياذوق لم تركت النبيذ فقال رأيت صاحبه لا يروى منه ووجدت
بعضه يدعو الى بعض فتركت قليله لكثيره * وممن كان يشربه
للشهوة الغالبة فقط ولا يبالى على أى الحالات شربه منفردا وحده
أو مجتمعا فيه مع غيره جماعة لا يتهمون فى عقل ولا رأى الا أن
افراطهم فى هذه الشهوة ابطلهم وغلب عليهم فافسدت حال دنياهم
ودينهم منهم أبو الهندى ثبت بن ربعى التميمى ومر به نصر بن سيار
الليثى وهو يميل سكرا فقال له أفسدت شرفك فقال لو لم أفسد شرفى لم
تكن أنت والى خراسان * وحارثة بن بدر الغدانى وكان غلب على
زياد وغلب الشراب عليه فعوتب زيادا فى الاستئثار به فقال كيف

أطرح رجلاهو يسايرني منذ دخلت العراق فلم تصطك ركاباه بركابي ولا تقدمني فنظرت الى قفاه ولا تأخر عني فلويت عنقي اليه ولا أخذ على الشمس في شتاء قط ولا سألته عن باب من العلم الا ظننت أنه لا يحسن غيره * والوليد بن عقبة وكان أميرا على الكوفة فصلى بهم صلاة الفجر ثلاثا ثم التفت اليهم في وقت التسليم فقال أحسبكم وأزيدكم * وأبو محجن الثقفي وكان محربا مغرما بالشراب وله مع سعد بن أبي وقاص في الشراب اخبار يطول شرحها ومن لم نذكر أسماءهم من هذه الطبقة كثير فاذا كانت هذه صورة النبيذ فانه يغتفر له ما ذكرنا ويتجوز فيه ويتجافى عنه لما بني عليه وجعل سببا اليه من اجتماع الشمل وأنس المنادمة واريحية المذاكرة ولو انفرد النبيذ بنفسه وحصل عليه وحده دون النديم المساعد والسماع المطرب لكان الوعاء أولى به فتتبين بهذا أن المعاقر أفضل من العقار والنديم فائدة المدام وأنشدني منشد

لم يكن بيننا رضاع ولكن * ولدت بيننا المدام رضاعا
ان يكن أول المدام رضاعا * أو يكن آخر المدام صداعا
فالها بين ذاوذاك هنات * وصفها بالسرور ان يستطاعا

ومن جيد ما مدح به النديم قول بعض المتقدمين

أرى للكأس حقا لا أراه * لغير الكأس الا للنديم
هو القطب الذي دارت عليه * رحى اللذات في الزمن القديم

فاما قول أبي نواس أمير هذا الشان وفارسه

خلوت بالراح أناجيها * آخذ منها وأعاطيها

نادمتها اذلم أجد مسعدا * أرضا أن يشرك فيها

فهذا بعد انما يدل على فضل النديم وانه لم يتفرد بالنبيذ مختارا وانما توحد به ضرورة لقوله انه لم يجد نديما مرتضى أوليس هو القائل

الراح طيبة وليس يقامها * الا بطيب خلائق الجلاس

ولم تقتنع أبيات فى مدح نديم أحسن من قول أبى مسهر الطائى

ونديمان يزيد الكأس طيبا * سقيت وقد تغورت النجوم

وللعطوى أشعار كثيرة فى الندام كلها مختارة فمنها

يقولون قبل الدار جار موافق * وقبل الطريق النهج أنس رفيق

فقلت وندمان الفتى قبل كاسه * وماحث سير الكأس مثل صديق

وقال أيضا

الراح والندمان أحسن منظرا * من كل ملتف الحدائق رائق

فاذا جمعت صفاءها وصفاءه * فاقذف بكل ملمة من شاهق

ولقد ملح عصابة الجرجرائى فى قوله

اقرأ السلام على الأمير وقل له * ان المنادمة الرضاع الثانى

باب اخلاق النديم وصفاته

وليس أحد من أصحاب الملوك وخلطائهم هو أولى باستجماع محاسن الاخلاق وأفاضل الآداب وطرائف الملح وغرائب النتف من النديم حتى انه يحتاج أن يكون فيه أشياء متضادة فيكون فيه مع شرف الملوك تواضع العبيد ومع عفاف النساك مجون الفساق ومع وقار الشيوخ مزاح الأحداث وكل واحدة من هذه الخلال هو

مضطرا اليها فى حال لا يحسن أن يخل بها فيها او وقت لا يسعه العدول
عنها والى أن يجتمع له من قوة الخاطر ما يفهم به ضمير الرئيس الذى
يخادمه على حسب ما يبلوه من أخلاقه ويعلم من معانى لحظه
واشارته ما يغنيه عن تكلف عبارته والافصاح به فيسبقه الى شهوته
ويبدره الى ارادته كما قال بعض الكتاب

وندیم لو الحديث يجاريـ ـك بما تشتهيه فى ميدانك
ألفى كأن قلبك فى اضـ ـلاعه أو كلامه بلسانك

ومن صفة النديم أن يجتمع الى الصبر على مضض الجوع احتمال
كظة الازدياد على الشبع لانه مدفوع الى مؤاكلة أحد رجلين
اما مضى شديد المحبة لان يؤكل طعامه فيطالبه بالاكثار
ومساعدته عليه ومساواته فيه فاذا فعل ذلك حظى عنده وقرب من
قلبه بالمشاكلة فان قصر أنزل ذلك منه على التجهيل له وتعمد التنغيص
عليه فيكون حاله فيه كحال محمد بن عبد الملك الزيات فانه قال أعين
على أحمد بن أبى دواد باشياء لم أعن عليه بمثلها حتى انه أعين على فى
تمكن حاله عند الواثق بأنه كان طيب الاكل طحون الضرس هضوم
المعدة وكنت على خلاف ذلك فحضرته يؤاكل الواثق وليس معهما
ثالث ودعانى الواثق الى الطعام فاقبلت أنفر على حسب عادتى
وخمود شهوتى وهما يتباريان فى تكبير اللقم وجودة الاكل فلما
رأى أحمد ذلك منى قال يا أمير المؤمنين ما جلوس هذا المحتمى معنا
يحصى علينا اللقم اما أكل كما نأكل فوقفا حتى المؤاكلة ولم يحشمنا
أو نهض فتفرد بمؤاكلة أمير المؤمنين من يحسن حضورها ويقابلها

بما يشبهها فقال الواثق قد صدق أحمد فكل أودع فما ملكت أن
نهضت أو لئيم طعامه عنده بمنزلة سمعه وبصره فان أسرع فيه
أو تناول أطايبه فكأنما يأكل من جوارحه فهو مضطر الى أن
يجاهد نفسه ويغالب طباعه حتى يألف هاتين الحالتين ويجرى
على هاتين العادتين فيكون حينئذ أتم فى آلات الندام وأقهر
لسلطان الشهوة ممن يعتمد على تقديم الاكل فى منزله ويتعالى بمثل
ما رأينا جماعة من المترسمين بالندام يستعملونه من اتخاذ الخازن
مملوءة أدهانا فى خفاف غلمانهم أو اللفات مدرجة فى المناديل اذا
أمكنهم ذلك فاذا مضهم الجوع وشحذهم الشراب تغفلوا الغفلة
وانتهزوا الفرصة فتناولوا ما أعدوا من ذلك فى الخلوات وربما كان
فى المذاهب وما أشبهها من المواضع الخسيسة وكل ذلك قبيح جدا
وفيه أشياء مذمومة منها انه لا يؤمن أن يطلع عليها بعض حاشية
المنادم فينبهها اليه فيوغر بقلبه ويحفظه ويرى أنه فى ذلك الفعل
قد هجا وبخله لانه ليس كل ذى خلق دنى يعترف به من نفسه بل
كثير من ذوى العيوب يدعى عن عيوبه أو يتعذر الموضع الذى
يؤخذ منه ذلك فيه فينال جسمه من الضرر بمفارقة العادة وفقد
النفس شيأ قد تطلعت اليه وتشوقت له اما بعلة ومرض أو يحلفه
رئيسه ويقسم عليه أن لا يأكل الا معه فيضمن له ذلك ويعده به
ويخالف فيكون قد خان ونكث * وكان عيسى بن جعفر الهاشمى
يفعل هذا مع الرشيد كثيرا وكان الرشيد يثلبه عليه ويذمه
ويبكته به فمن ذلك أنه قال له فى بعض العشيات وجماعة من جلسائه

قد اشتهيت أن آكل في صبيحة غد هريسة وقد تقدمت باتخاذها
ولا يخلط بها غيرها فاعملوا على البكور واجروا أنفسكم النهوة
ووفروها على الهريسة وكان بعضهم ملازما لعيسى خصيصا به
فحكى انه غلس الى منزله ولم يكن يحجب عنه فألفى عيسى جالسا بين
يديه بقية شمعة وطبق كبير عليه طيفورية ان عظيمتان احداهما
مملوءة هريسة وفي الاخرى ثلاث فضارات صينية فيهن مرى
ودار صيني وفلفل ورقاق لطاف لا تنفصل عن الكف وهو يأخذ
الرقاقة فيلفها ثم يمرها على تلك الفضارات ويزدردها قال فقلت
يا سبحان الله أنسيت ما اتفقت عليه مع أمير المؤمنين فقال لا تعجب
فهذه الطيفورية الثالثة فامسكت يده وجذبت الطبق وجبرته
على غسلها وركبنا فوافينا أمير المؤمنين جالسا على حصير الصلاة
حين انفتل من صلاته وهو يستتم تسبيحه ورواغ الهريسة قد
ملأت الدار فقال اقدا بطأتما ودعا بالطعام فاحضر فاندفع عيسى
يأكل كأنه لم يذق شيئا منذ أيام فلم أتمالك أن ضحكت فقال الرشيد
ما هذا قلت لا أصدق أمير المؤمنين عن خبر عيسى قال ايه قلت كان
من أمره كيت وكيت قال أتراني شككت في انه يفعلها اعلم انه لو لم
يفعل لاكلني وأكلت * فاما العبث والمزاح فلا من المنادم موقع
لطيف ومحل خصيص اذا تبين النديم منه نشاط الذلك وقال قائل
للمأمون أيأذن أمير المؤمنين في المداعبة قال وهل العيش الا فيها
(وقدم) العتابي عليه وعنده اسحق بن ابراهيم الموصلي فسلم ورد
عليه وجلس وأقبل يسأله عن حاله ويجيبه بلسان طلق فاستظرفه

وأخذ معه فى صداعبته فظن الشيخ أنه قد استخف به فقال يا أمير
المؤمنين الناس قبل الابساس ثم أخذوا فى المناوضة والحديث
* وأغرى المامون اسحق بالعبث بالعتابى فاقبل يعارضه فى كل
ما يذكره ويزيد عليه فعجب منه ثم قال ايأذن أمير المؤمنين فى مسئلة
هذا الانسان عن اسمه ونسبه قال افعل فقال العتابى ممن أنت
وما اسمك قال أنا من الناس واسمى كل بصل فقال العتابى أما النسبة
فمعروفة وأما الاسم فمنكر وما كل بصل من الاسماء قال اسحق ما أقل
انصافك وما كان يوم من الاسماء البصل أطيب من الثوم فقال العتابى
لله درك ما أرجحك مارأيت يا أمير المؤمنين كالرجل قط أفيأذن لى
فى صلته بما يصله به أمير المؤمنين فقد والله غابنى فقال المامون
بل هو مرفر عليك ونامره بمثله ونهضا فانصرف اسحق بالعتابى الى
منزله وفاده بقية يومه * ومما يزيده فى المحل قدما وعندما كه
ورتبه تعظيما وتمكنا أن يكون عالما بكل ما يتنافس فيه الملوك
ويغالون فيه من الرقيق الثمين والجوهر النفيس والآلات المحكمة
وأنواع الطيب والفرش الى غير ذلك من الخيل والسلاح وسائر
ما يهدى منه الى الملوك فى مجالس لذاتهم وتعرض عليهم أوقات
نشاطهم فمن أراد من النديم مجلسا أو أكسف منه بالا اذا عرض على
الملك شئ من هذه الاعلاق فاعتمد فيها على معرفته واستعان على
تخيرها ببصره ورجع فى استفادتها الى نظره وتقيه فلم يحر جوابا
فى ذلك ولم يحط بشئ منه علما * ويستظرف منه أن يصف اللون
الغريب من الطبيخ والصوت البديع والشعر الشجى واللحن من

الغناء ورأيت الملاح من أهل هذه الطبقة يقولون ان من لم يشد عشرة أصوات ويحكم من غرائب الطبيخ عشرة ألوان لم يكن عندهم ظريفا كاملا ولا نديما جامعا واقتى من الكتاب فى هذا المعنى

تعالوا الى النخل الذى لم يزل بكم * يطول على ريب الزمان ويشمخ
فقد حصلت عندى لكم فتعجلوا * ثلاث دجاجات سمان وأفرخ
وراح وريحان ومسك وعنبر * نجـــر أحيانا به ونضمخ
ومسمعة كالبدر تشدو بصارخ * تنادى القلوب نحوه حين يصرخ
وها أنا ذا طباخكم ولربما * رأيت ظريف القوم يشدو ويطبخ
سوى انه لا يقطع اللحم كفه * ولا هو ان لم توقد النار ينفخ
وانى لاستخذى لاهل مودتى * وأزهى على أهل المعالى وأبذخ

ولا يستحق النديم هذا الاسم حتى يكون له جمال ومروءة أما جماله فنظافة ثوبه وطيب رائحته ونصاحة لسانه وأما مروءته فكثرة حيائه فى انبساط الى الجميل ووقار مجلسه مع طلاقة وجهه فى غير سخف ولا يستكمل المروءة حتى يسلو عن اللذة وقيل للعتابى ما المروءة قال ترك اللذة قيل له فما اللذة قال ترك المروءة

باب التداعى للمنادمة

قد آثر بعض الظرفاء من اسناط التصنع فى هذا الباب ما هو أليق بالمؤانسة وأنفى للانقباض والجشمة ولو لم يكن فى الاحتفال من النقيصة والاقتضاب من الفضيلة الا أن المحتفل قد ضيق العذر على

نفسه فى تقصير ان حكان منه والمقتضب مغتفر له ذلك لكنى به
(وروى) ان رجلا دعا أمير المؤمنين على بن أبى طالب عليه السلام
فقال أتيك على أن لا تدخر عنا ما عندك ولا تتكلف لنا ما ليس
فى وسعك (وقال) المأمون لجعفر بن سليمان الطيب والطعام
لا يزيد فى جودتهما كثرة الانفاق عليهما ولكن اصابة المعنى وكتب
الى صديق لى

قم بنا نقتضب صبوحا مليحا * يسعد الله لى بك اليوم جدى
لم أبت له اعتزاما ولا قلت غدا كن فدتك نفسى عندى
فهو طيبا وموقعا كحبيب * جاءنى زائرا على غير وعد

(وحدثنى) بعض شيوخنا عن حدثه أن ظريفا من الكتاب احسبه
الحسن بن سهل بلغه أن عبد الله بن يزيد عشيق أبى تمام الطائى
الذى يقول فيه

يا سمى النبى فى سورة الجن ويا ثانى الولاة بصر

احتفل لدعوة دعاها احتفالا شديدا وتعمل لها حتى اشتهر أمرها
قبل وقوعها فكتب اليه أما ارتفعت عن تثبيت الدعوات بعد
(ودعا) محمد بن عبد الله بن طاهر رجل من أصحابه دعوة تقدم فيها
فاحتفل لها فلما حضر محمدا طابه بالطعام فقاله ليتكامل ويتلاحق
على ما أحبه من الكثرة والحفلة حتى تصرم أكثر النهار ومس محمدا
الجوع فتنغص عليه يومه وأراد محمد سفرا فشيعه هذا الرجل حتى
اذا دانا منه ليودعه قال له أيام الامير بشئ قال نعم تجعل طريقك فى
عودتك على محمد بن الحرث بن بخير فاسأله أن يعلمك الفتوة فقضى حق

دخل الى محمد بغتة فقال له بعض البك الامير لتعاني الفتوة فضحك وقال ياغلام هات ماحضر فاتى بطبق كبير عليه ثلاثة أرغفة من انظف الخبز وأنقاه وسكرجات مرى وخل وملح من اجود ما يتخذ من هذه الاصناف وابتدأ يأكل فجاءته فضيلة باردة من مطبخه وتدار كها الطباخ بطباجة وافا من منزل حرمه فضيلة اخرى واهدى له بعض غلمانه جام حلواء فانتظم له خفيف ظريف في زمان يسير وبغير احتشام وانتظار (وسمعت) بعض الاغنياء يعتذر من ترك التحفل بعذر ما حسن الاعتذار قط الا من مثله وذلك أنه قال ما يمنعني من الاحتفال الا الاستظهار فقلت له وكيف ذلك قال أكره ان أحتفل فيتأخر عني من ادعوه اما عن عمد او عائق فاكون قد تكلفت عالم ينتفع به فقال في ذلك بعض اخوانه

اذا كنت لاتدع الاحتفا * ل الا لأنك تستظهر
فلا تدعون احدا بتة * فهذا هو النظر الاوفر
ولاسيما انا من بينهم * فاني وحقك لا أحضر

(وكان) آخر لا يشرع في شئ من آلة الدعوة حتى يحضر اخوانه ويأمن تاخرهم فحينئذ يامر باصلاح ما يحتاج اليه على مقدار قد عرفه فلا يلحق طعامه حتى يتصرم يومهم وتضطرم نار الجوع في احشائهم فقال فيه بعضهم

خاف الضياع على شئ يجعله * من المطاعم اذ اخوانه ثقلوا
فليس تعلوه على الكانون برمته * حتى يرى أنهم في البيت قد حصلوا

(وحكي) بعض من أثق بصدقه عن بعض البخلاء انه دعا قوما فابتاع

لهم جدیا وأشفق من ان یذبحه فلا یحضروا فیخسر الجدی فنوره وعمل علی أنهم ان حضروا ذبحه واحضره کهیئة المسموط وان تاخروا اسنحیاه ولم یذبحه ولیس هؤلاء بافراطهم فی هذا الاستظهار القبیح والنظر الرقیق باذم ممن یدعی فیجیب ویحصل ذلک علی نفسه ویوثق منه بالوفاء به ثم یتثاقل عن الداعی الملهوف حتی یجمعه ویجمع اخوانه ویثقل علیه عمره ویبرد علیه طعامه ویرد غلمانه ویطیل التشوق الیه فجزاء هذا عندی بعد الاستظهار علیه باطبة واعادة الغلام الیه بالرسالة أن یستاثر اخوانه بالمؤاکلة دونه متعمدین بذلک الاستخفاف به لیؤدبوه ان کانت به مسکة وینبهوه ان کانت له فطنة وقد جاء فی الخبر المأثور فی اجابة الدعوة وترک التاخر عنها ما جری مجری الفرض الواجب وهو قول النبی علیه السلام من دعی الی طعام فلیجب فان کان مفطرا فلیاکل وان کان صائما فلیصل والصلاة ههنا الدعاء مثل قوله ولا تصل علی أحد منهم مات أبدا أی لا تدع لهم ولا ترحم علیهم فاذا کان الصائم قد أمر بالحضور فکیف بالمفطر ومن قد أجاب ونالنی ذلک من فتی قبله فکتبت الیه

تاخرت حتی کدت الرسول * وحتی سئمت من الانتظار
وأوحشت اخوانک المسعدین * وبغمتهم بشباب النهار
واضررت للجوع احشاءهم * بنار تزید علی کل نار
فان کنت تأمل أن لا تثیب * فانت وحقک عین الجمار

وکان یقال ثلاثة تضنی سراج لا یضیء ورسول بطیء ومائدة ینتظر

بها من يجي * وقال آخر المودة شجرة ثمرتها الزيارة وقال آخر المودة روح والزيارة شخصها * وكتبت الى صديق لي دعوته فتثاقل عني واعتل بعارض عله

يا بي أنت تباغضت وما كنت بغيضا
جاءني منك جواب * كان للعهد نقيضا
أنت لم تمرض ولكن * أحسب الود مريضا
واقد فاتك لهو * لست منه مستعيضا
ومدام شاكلت في الكاس ياقوتا نضيضا
وحديث ونشيد * شاب نحواوعروضا
وغريض من غناه * فاق في الحسن الغريضا

وكتبت الى آخر

كتبت وعندنا روح وراح * واخوان تجهم ملاح
بيضاء الوالف ذات عود * يناغيها ثمانية فصاح
واحور من ظباء الروم ساق * كغصن البان تنثنيه لرياح
بديع ملاحة يدعى نجاحا * ولكن ما وعده نجاح
له طرة تصف على جبين * كمثل الليل قابله الصباح
تحلى بالمناطق وهو ممن * يليق به القلائد والوشاح
وساطعة الشعاع رضاب نحل * حلال الشرب ليس بها اجتناح
ولا وسمي بالقطر ابتدار * وللشرب ابتهاج وارتياح
شرابهم سرور واد كار * وشدوهم اختبار وقتراح
وبين الضرب والاوتار حرب * وبين الناي والراح اصطلاح

فزرنا غير محتشم تزرنا * بزورتك المكارم والسماح

(ومر) بعض النبيذيين بجدى سمين فقال ليت شعرى لغلمان من هذا فسئل عن معنى قوله فقال بؤخر اصحابنا الجدى فلا نصل اليه وفينا فضل له وبه وزالغلمان به (وخبرت) أن بعض المتقدمين كان يذكر ما يصنع لاخوانه من الطعام فى رقعة و يعرض عليهم فمن استطاب لونا حبس نفسه عليه * وروى ان زيادا كان يقول ما انفردت برغيف قط حتى يشركنى فيه غيرى ولا اكلت طعاما قط الا بشهوة من يكون معى وانا ارى ان بعض الزور وفاجانى الصديق أن اشافهه بوصف شئ ان كنت تقدمت باصلاحه وان قل واشهيه ولا أحتشم ان اقترح متعذرا ان أونسه واقترح فى منزل صديق ولا اسومه ما اعلم ان حاله لا يحتمله فان استدعيت من الطباخ شيا عرفته بالالف واللام ولم اجعله نكرة كما يحكى عن بعض المتكبرين من الموهين ودعا قوما فقال لغلامه فى آخر طعامه هات حلوا ان كان عندك فقال له الغلام وكان عليه مدلا ما عندى الا الفالوذج الذى عقدته بيدك * ودعا رجل رجلا فقال له هل لك ان تصير معى الى المنزل فتاكل خبزا وملحا فظن الرجل ذلك القول منه على المجاز فمضى معه فلم يزده على الخبز والملح شيا فبيناهما يأكلان اذ وقف سائل بالباب فرده صاحب المنزل مرارا فلم يبرح وألح فقال له ان انصرفت والا خرجت اليك فهمت فلك فقال فقال له المدعو يا هذا انصرف فانك لو عرفت من صدق وعيده ما قد عرفت من صدق وعده ما تعرضت له

باب الشرب وكثرتهم وقلتهم

فاما كثرة عدد الشرب وقلتهم فهم يسمون الاثنين منشارا ويكرهونهما وكان الثلاثة أتم مجلسا لان الاثنين ينهض أحدهما لبعض شانه فيجم الآخر وينفرد وربما عرض له الفكر فلا يكون لجليسه من يخلفه في مؤانسة وليس كذلك أمر الثلاثة وعندى الاربعة أحسن لان الثلاثة اذا اشتغل الاثنان بالحديث لا يعرف الثالث سببه وابتداءه يحتشم لاحالة ويمقت نفسه والاربعة يتكافؤن فهم أركان المجلس وفى الاربعة يقول بعض الكتاب

ثلاثة أصفيهم هوائى * كأنهم كواكب الجوزاء
مطاردون يرون رأيى * كأنما هواؤهم هوائى

وانما ذكر ثلاثة هو رابعهم وقال آخر

ثلاثة جمعوا لى فى ثلاث منى * وكنت رابعهم يوم الثلاثاء

وقال آخر فى الثلاثة

اخالك تدعونا اذا ما دعوتنا * دعاء يهود مبتئين على خمر
فلا خير فى الندمان الا ثلاثة * سواء كامثال الاثافى من القدر

وقال آخر فى وصف الندامى من واحد الى سبعة

ان المعاقر كأسه متفردا * من صحبه نحس لئيم أرجس
واثنان يشتد الندام عليهما * وثلاثة بهم يطيب المجلس
ولقد يلذ حديث أربعة لهم * فيطيب مجلسهم معا والانفس
والغاية القصوى أراها خمسة * فى دورهم نفس لمن يتنفس

واذا هم كثروا فصاروا ستة * عطشوا لحبس الكاس ساعة يحبس
واذا تجمع سبعة في مجلس * سخت لهم دون السعود الانحس
وظلمت في سوق المرا معسكرا * وترى حلومهم بجهل تخلس

و يعجز المعاشرون في الطعام ولا يعجزون كدر الشراب وغائله و يسير الرائق الجيد من الشراب يغني على مقصر الطعام والكثير من غليظ الشراب يفسد كل ما يولغ فيه من شريف الطعام و زمان المشاربة أطول من زمان المؤاكلة وقال الحسن بن هانئ في مدح رائق الشراب وذم غليظه

من شراب كأنه نظر المعشوق في وجه عاشق بابتسام
لا غليظ تنبو الطبيعة عنه * نبوة السمع عن شنيع الكلام

وقال الوليد بن عبيد البحتري

تركت مشمس قطربل * وبرعثا دقل الدسكره
اذا صب مسودة في الاناء * فكاس النديم به محبره

وقال علي بن العباس الرومي

علق أحمد من الدوشاب * شربة نفست سواد الشباب
لو تراني وفي يدي قدح الدو * شاب أبصرت بازيا رغراب

ولي في هذا المعنى

لابي الفضل شراب * جيد ليس يعاب
هو في حال طعام * وهو في أخرى شراب

باب السماع

فاما السماع الطيب فلو اقتصر به عليك داعيك من دون كل

مأكول ومشروب لقضى حقك واحسن معونتك وتعويضك
ويشهد بتحقيق ذلك خبر الداعى فى البيتين اللذين سمعه سامع يتغنى
بهما وهما

وكنت اذا مازرت ليلى بارضها
أرى الارض تطوى لى ويدنو بعيدها
من اظفرات البيض ودجلتيها
اذا ماقضت احدوثة لوتعيدها

فاطرب به وأعجبه حتى مال اليه فاستعاده فاعادهما وقال والله لو كان
عندى قرى ماأعدتهما وقال آخر

لابى جعفر سماع عجيب * جمع اللهو فيه والاطرابا
فالنداما به فنون عن ان * ينتفى مطعما لهم وشرابا

وذلك أن الغناء شئ يخص النفس دون الجسم فيشغلها عن مصالح
الجسم كما أن لذة الماكول والمشروب تخص الجسم دون النفس
(وقالت) الحكماء الغناء فضلة فى المنطق أشكلت على النفس
فاخرجتها ألحانا فاقول انها الى الالحان أميل اذ كانت هذه سبيلها
أشد اصغاء منها الى ان قد تميزلها وصح معناه عندها من سائر منطقها
حرصا على معرفة غامضها وشوقا الى استفتاح منغلقها وهى الى
تعرف مالم تعرف اتوق منها الى ماقد عرفت وكذلك المثل العجيب
والبيت النادر كلما دق معناه ولطف حتى يحتاج الى اخراجه بغوص
الفكر عليه واجالة الذهن فيه كانت النفس بما يظهر لها منه أكثر
التذاذا وأشد استماعا مما تفهمه فى أول وهلة ولا يحتاج فيه الى نظر
وفطنة وليس الا الشعر فهاو بعد غايتها (وأقول) أيضا كما أن الالحان

أشرف المنظوم وكذلك النفس الطروب اليها المستخف لها أشرف الانفس وكل ذى ذهن لطيف ونفس فاضلة أحرص على السماع وأحن اليه بالمشاكلة (وكتبت) الى بعض من كان يزهد فى السماع

ان كنت تنكر أن فى الالحان فائدة ونفعا
فانظر الى الابل التى * هى ويك اغلظ منك طبعا
تصغى لاصوات الحدا * ة فتقطع الفلوات قطعا
ومن العجائب أنهم * يظمونها خمسا وربعا
فاذا تواردت الحيا * ض وشارفت فى الماء كرعا
وتشوقت للصوت من * حاد تصيخ اليه سمعا
ذهلت عن الماء الذى * تلتذه بردا ونقعا
شوقا الى النغم التى * أطربنها الحنا وسمعا

وحق من أمتعك بسماعه واشركك فى اخص لذاته وسوى بينك وبينه فى استماع نغمه من لا يغار عليه من ظله ان تجعل نوابه على هذه الكرمة غض طرفك عن الجهة التى تلى الستارة والناحية التى تاتى منها النغمة حتى لا يكون باطن الستارة باخفى عنك من ظاهرها ولا تحتاج ان يخرج بك الطرب عن حد الحرية والادب فتلج بالاقتراح وتحقق بالعلم بالغناء والحذق بالاعراب فتتبع العثرة وتترصد الهفوة فان سمعت مجازا الحنته وان مر بك زحاف عيرته ووزنته وقد قيل النصح بين الملا تقريع ومن قل علمه كثر رده والعربية أكثر من أن يحيط فيها متكلم وأنفس القينات أمية

obeikan.com

ومعهن أتفه وحمية فمن استعمل معهن هذا فهو ابداعليهن ثقيل وعندهن مقيت لايعدم أن تراقبه الواحدة وتكايده فتعالل ان حضر وتعدل عما استحسن فتقطع الصوت عند اتصاله وتتربص بجيد الغناء لانصرافه وليعض أصحابنا في غض الطرف عن الستارة

انى على مافى من * عهد الشبيبة والنضاره
لأغض من طرفى وياً * منفى النديم على الستاره
وأعف خلق الله عن * جار أصافيه وجاره

(وكتبت) الى بعض أصدقائنا وكان له سماع مطرب وغيرة مفرطة

ان شئت فاستر على سماعك أو * ان شئت يوما فعطل الستارا
فان عندى من العفاف ما * يحمده منظرا ومختبرا
أمكن أذنى من السماع ولا * أمكن ألحاظ عيف النظرا

باب المحادثة

فاما سبب النديم الذى هو رأس ماله وأنفس أعلاقه فهو المحادثة وهى أخف اللذات مؤنة وأقلها اتعابا للحاسبة وقد قيل لشيخ فان مابقى من لذاتك قال استماع الملح (وقال) الملهب العيش كله فى الجليس الممتع وجود على بن العباس الرومى

وسئمت كل ما أرى * فكأن أطيبها خبيث
الا الحديث فانه * مثل اسمه أبدا حديث

وسألت فتن وهى جارية أريبة كانت من أدب الجوارى فى زمانها

مسلما المعروف بالتميمي في مذاكرة جرت بينهما طويلة فقالت
أي الامور عندك ألذ واشهى محادثة الرجال أم استماع الغناء أم
الخلوة بالنساء فقال سألت عن أمور لا تحسن محادثة الرجال الا
بحسن التفهم ولا الغناء الا بشرب النبيذ ولا الخلوة مع النساء
الا بالموافقة وسعة القدرة فقالت فاي الثلاثة تختار قال محادثة
الرجال ومثل قوله لا تحسن محادثة الرجال الا بحسن التفهم
قول الآخر تعلم حسن الاستماع كما تتعلم حسن الكلام وحسن
الاستماع امهال المحدث حتى ينقضي حديثه وقلة التقلب الى
الجواب والاقبال عليه بالوجه والنظر والوعي لما يقول وان تصغي
الى حديثه ولا تشغل طرفك عنه بنظر ولا أطرافك بعمل ولا قلبك
بفكر ولا تسابقه الى حديث يبدأ به لمعرفتك بذلك الحديث
بل تريه من الارتياح له والتعجب منه ما توهمه أنه لم يخطر ببالك
ولا وقر في سمعك وأمتع الناس حديثا أحسنهم افهاما ومن أدب
الحديث أن لا يقتضب اقتضابا ولا يهجم عليه وان يتوصل الى
اجترار ه بما يشاكله ويسبب له ما يحسن أن يجري معه في غرضه
حتى يكون بعض المناوضة متعلقا ببعض على حسب قولهم في
المثل الحديث ذو شجون يعني بذلك تشعبه وتفرعه عن أصل واحد
الى معان كثيرة وأن لا تبتدئ حديثا ثم تقطعه وتعد باتمامه كأنك
روأت فيه بعد ابتدائه ولتكن التروئة له قبل التفوه به فان احتجار
الحديث بعد ابتدائه مخف ولا يتسع للنديم من العذر في اكتار
الصمت ما يتسع للكاتب لان ذلك ينزل من الكاتب على الفكر في

تدبير الاعمال ونظم الامور والانتظار لان يسئل فيجيب أو يستشار فيصيب وهو من النديم عى وانقطاع وقلة امتاع كما قال بعض أصحابنا

وصاحب أصبح من برده * كالماء فى كانون أو فى شباط
ندمانه من ضيق اخلاقه * كانه فى مثل سم الخياط
فادمته يوما فالفيته * متصل الصمت قليل النشاط
حتى لقد أوهمنى أنه * بعض القتائل التى فى البساط

وقال بعض العلماء اذا لم تكن المحدث أو المحدث فقم ومع ما قلناه من اكثار النديم الحديث فاحلى لحديثه وأحسن لوقعه أن يتنكب منه الطوال ذوات المعانى القلقة والالفاظ الوحشية التى يفنى باقتصاصها زمان المجلس وتنغلق بها النفوس وتحبس على أواخرها الكؤس فان ذلك بمجالس القصاص أشبه منه بمجالس الخواص ولم يزالوا يمدحون الاحاديث بالقصر كقول امرئ القيس

وحديث الركب يوم هنا * وحديث ما على قصره

وقال آخر

اذا ما حدثن الحديث فضينه * ومنينا أن الحديث يعاد

وقال عبد الله بن المعتز

بين أذا حهم حديث قصير * هو سحر وما سواه كلام

وقال آخر

كم من حديث قصير لى أصيد به * قلب الفتاة وأشعار أسديها

وقال آخر لا تجعلوا مجالسكم حديثا كله ولا انشادا كله ولكن

امزجوه

امزجوه واجعلوا له من كل شئ نصيبا * ومن أدب الحديث أن لا يكثر المحدث التبسم والقهقهة * وقال نجاح بن سلمة للمتوكل لما دعاه الى منادمته فى خصال لا تصلح معها منادمة الخلفاء قال وما هى قال سلس البول وأتبسم اذا حدثت ولا أقدر من الشرب على اكثر من رطلين فقال له من حق صدقك عنها ان نسامحك بها فصمها * وقد اختلف رأيهم فى موقع الحديث على الطعام فاستحسنه قوم وكرهه آخرون وهو من صاحب المنزل والمائدة أحسن منه من الاكيل والزائر كما قال بعضهم

صادف زادا وحديثا ما اشتهى * ان الحديث طرف من القرى

(ويستجاد قول بعض المحدثين)

كيف احتيالى لبسط الضيف من خجل
عند الطعام فقد ضاقت به حيلى
أخاف ترداد قولى فاحشمه
والصمت ينزله منى على البخل

(واكل) عندى بعض الجلساء من النبيذ بين فسمعنى وأنا أحمد الله عز وجل فى وسط الطعام لشئ خطر ببالى من نعمه التى لا تحصى فنهض وقال أعطى الله عهدا ان عاودت وما معنى التحميد فى هذا الموضع كأنك أردت ان تعلمنا أنك قد شبعت ثم مال الى الدواة والقرطاس وكتب ارتجالا

وحمد الله يحسن كل وقت * ولكن ليس فى أولى الطعام
لانك تحشم الاضياف فيه * وتأمرهم باسراع القيام

وتوذنهم وماشبعوا بشبع • وذلك بئس من خلق الكرام

ولست أرى بالحديث من الزائر والمزور بأسا الا أن أحسن حديث التديم على الطعام وألبقه بالحال التى هو فيها أن يكون فى معنى الطب وذكر الاغذية ومحمودها ومكروهها فان أحس من صاحبه بخلا صلح أيضا أن يذكر له طرفا مما جاء فى تخفيف الطعام والتمؤض منه والاخذ بمقدار الحاجة اليه وما يقيم الجسم دون ما يتعرض به للتخمة وذلك مثل قوله صلى الله عليه وسلم اجعلوا البطن اثلاثا ثلثا طعاما وثلثا شرابا وثلثا نفسا ثم مثل قول صقم بن نويرة

لقد كفن المنهال تحت ردائه • فتى غير مبطان العشيات اروعا

يريد أنه كان يؤثر الاضياف بالزاد على نفسه وهو لا يستوفى منه شبعه وقال المبرد لانه كان يؤخر العشاء الى الليل انتظارا للطارق وقول حاتم

وانى لاستحيى رفيقى أن يرى

مكان يدى من موضع الزاد بلقعا

وكنت اذا أعطيت بطنك سؤله

وفرجك نالا منتهى الذم اجمعا

وقول الآخر البطنة تذهب الفطنة وقول الآخر عاهة الشبع أشد من عاهة الجوع وقول بقراط الاقلال من الضار خير من الاكثار من النافع ثم ان استشاره فى نقل أو عشاء لم يشر عليه الا بما لطف من النقل وحاد به عن الطعام وخونه عاقبته وان كان ضيفا كولا ذاكره بما يعجبه ويشاكل مذهبه فى احماد قوة الشهوة

للاكل والاكنار منه وما فيه من اللذة كقولهم الاطيبان الاكل والنكاح وكقول الآخر

حسن كل الفتى يدل على ايثاره ضيفه وبسط اكيله
وتراه يقل منه فيدعو * ذاك أضيافه الى تبجيله

(وحكى) أن الحجاج أصبح جائعا فقال لجلسائه ما خير الغداء فقال ابن القرية بواكره أيها الامير فقال ولم ذلك وهل هو كذلك فى كل أوان قال نعم ان كان الزمان شتاء فلطول الليل وهضم المعدة للطعام وان كان قيظا فلبرد الماء وقلة الذباب

باب غسل اليد

قد اصطلح الناس على اجلال رؤسائهم وملوكهم عن غسل أيديهم بحضرتهم واستجاز واذلك مع نظرائهم ومن بسقط التحفظ بينه وبينهم ولو آثر الناس الاعتزال لغسل الايدى من الغمر مع كل طبقة حتى لا يرى بعضهم بعضا لكان ذلك عندى أليق بالظريف وأشد امكانا لما يحتاج اليه من استقصاء الغسل والمبالغة فى التنظيف واجالة الانامل فى اللهوات والخلال فى الاسنان وتفله وما أشبه ذلك مما لا يشك أحد ان ستره عن عين المحب والمبغض والرفيع والمتواضع أحد من اطلاعه عليه ومحال ان يكون الرؤساء والملوك ذهبوا غير هذا المذهب وأن يظن بهم فيه الكبر ويوهم عليهم العجب وأن المرء يتأذى أن يرى ذلك من نفسه فكيف من غيره وربما يحسن الرئيس ويجمل فيقول لنديمه اغسل يدك مكانك

ولا تنزعج فالغبي يتغنم ذلك والفطن يأباه ويغلب الادب فيخف على الادب ويستفيد الحظوة ويأمن الاول التثقيل فيثقل ولو كان الحكم في هذا يوجب من الترتيب فيه والاجتماع عليه مثل ما توجبه المؤاكلة لحسن أن تجتمع الايدي في الطست الواحدة كما تجتمع في مائدة واحدة هذا بعد الطعام فاما قبله فجائز أن تغسل اليدين يدي الرئيس والنظير في طست واحدة وغسل رجل مع المأمون يده وابطا الطعام فسبقته يده الى رأسه فقال له المأمون أعد غسل يدك وقال لا بلى غسل اليد الا الخبز وقال رئيس سنن العرب المضمضة والسواك والاستنجاء ورئيس سنن العجم الخلال وغسل اليد قبل الطعام وسيل رب المنزل ان يبتدئ بغسل اليد قبل الكون أولا قبل الطعام وآخرا بعده ينقي في الاول حشمتهم وفي الحالة الثانية يتوخى تجميل اماطة اذى الغمر عن أيديهم هذا مع الاكفاء والمعاشرين فاما العظماء من ذوي السلطان فالاولى بمنادمتهم المبالغة في التخفيف عن أعينهم وقلوبهم والتغاضي في اعظامهم وتجميلهم فاما الخلال والانفراد به والتخلي له فاصون وأحسن على كل حال

باب ادارة الكاس

فاما حكم الكاس في ادارتها فان الادب فيه موافق لسنة الاسلام ومذهب الجاهلية لم يغيروه ولم يبدل به لانه روي عنه صلى الله عليه وسلم انه أتي بسقاء من لبن فشرب منه وكان عن يمينه غلام حدث السن وعن يساره رجل من مشيخة أصحابه فدفعه عليه السلام الى

الغلام وقال الايمن فالايمن ومما يدل على مذهب الجاهلية فى مثل هذا قول عمرو بن عدى وجماعة من العلماء ينسبون ذلك الى عمرو ابن كلثوم

تحيد لكاس عنا أم عمرو • وكان الكاس مجراها اليمينا
وما شر الثلاثة أم عمرو • بصاحبك الذى لا تصبحينا

باب الاكثار والاقلال

ومما يغلط فيه أكثر المنادمين وجمهور المتعاقرين افتتاح الشرب بالقدح الصغير والترقى منه الى الكبير وهم بالابتداء بالكبير فى حال جمامهم وحاجتهم الى هضم طعامهم وأبين مجالسهم أولى حتى اذا تروحوا وانتشوا كانوا بالنزول الى الصغير أولى وبالابقاء على عقولهم أحرى وربما لم يكن غناؤهم ممتعا فيعفى تعجيلهم الطرب بالكبير على تقصيره ويغطى ارتياحهم على عيوبه ولو صادفهم على غير تلك الحال لحقهم الفتور وقل نشاطهم للكبير فاما الاكثار والاقلال فليس النديم فيهما مختارا ولا علما أحدا تبين منه كبير بخل على النبيذ والاغلب على أكثرهم اجبار النديم على الشرب والحيف عليه واستثقاله اذا تأبى وامتنع أو تمنع ولا عيب على النديم فى السكر اذا كان مجبورا عليه كما وصفنا وتغفره فرطاته وعثراته كما قال العطوى

فمن حكمت كاسك فيه فاحكم • له بافالة عند العثار

وكما قال على بن الجهم

والقوم اخوان صدق بينهم نسب * من المودة لم يعدل به نسب
تنازعوا درة الصهباء بينهم * وأوجبوا الرضيع الكاس ما يجب
لا يحفظون على السكران زلته * ولا يريبك من أخلاقهم ريب

والاصل في هذا ما يحكى عن المأمون من قوله النبيذ بساط فاذا رفع فاطلبوه الا أن يكون النديم هو المستدعى للشرب والمواصل للنخب من غير نقصه باحتمال ذلك فيلزمه التبعة وتعصب به المعرة فاما الرئيس ذو الملك والامر النافذ فلو كان السكر أو مقاربته حلالا لا اختلاف فيه لكان عليه حراما لا اختلاف فيه لان بادرته الى نفسه وغيره لا تستقال وأمره لا يراجع لانه يقهر ولا يقهر ويجبر ولا يجبر عليه وقلما عنا بحادثة فظيعة وغدرة قبيحة وسطوة عظيمة استجازها ملك وجناها على نفسه أو نديمه أو حميمه أو سائر من يخصه الا على سكر ثم يقع عليه بعد ذلك الندامة ويلحقه ما لا يتلافاه من العار والمسبة فمن تهيأ عليه ذلك من ملوك الجاهلية جذيمة بن مالك الابرش صاحب الحيرة وخبره مشهور ومن ملوك الاسلام الوليد بن يزيد بن عبد الملك فانه لم يزل يهمل الامور ويواصل السكر مصطبحا ومغتبقا حتى انتشر أمره واضطرب حبله فقتل وجماعة كثيرة كان السبب في هلاكهم وهلاك من يخصهم اختيارهم السكر ومطالبتهم به ندمانهم ولو ذهبنا الى تعدادهم وشرح قصصهم لخرجنا بالكتاب عن حده

باب طلب الحاجة والاستماحة على النبيذ

ويقبح بالنديم ان يستميح الرئيس على سكره فانه يرى ان ذلك يجرى
مجرى الخديعة ويدخل فى باب الحيلة وذكروا ان بعض الاجواد
لم يكن يعطى أحدا على الشراب شيأ حتى يعصوا شفاعا من أن
يقال ان السكر حداه على السماحة وكان ذلك فيه عارضا فان عدل
عن المسئلة فى أمر نفسه واستماح لغيره كان ذلك داخلا فى باب
حسن المحضر والحض على الكرم وخرج عن باب التغنيم واللؤم
فانه يقال ان كثرة الاخذ لؤم كما ان كثرة الاعطاء كرم * وكان العتابى
والفضل بن يحيى بن خالد عند المأمون فجاء يحيى بن أكثم فقال له العتابى ان رأيت أن
تعلم أمير المؤمنين مكانى فقال لست بحاجب فقال قد علمت ولكنك
ذو فضل وذو الفضل معوان فقال له سلكت بى غير طريقى فقال له
ان الله عز وجل قد أتحفك بجاه ونعمة وهما مقيمان عليك بالزيادة
ان شكرت وبالتغيير ان كفرت وأنا لك اليوم خير لك منك لنفسك
أدعوك الى ما فيه زيادة نعمتك وأنت تأبى ذلك على ولكل شئ زكاة
وزكاة الجاه بذله للمستعين فدخل الى المأمون فاخبره الخبر فامر
للعتابى بثلاثين ألف درهم فاما اذا لم يشب المجالسة والمحادثة النبيذ
والمراضعة ودفعت ضرورة الى المسئلة فالاحسن فى ذلك أن لا يبتدئ
بالسؤال محضا وان يتوخى له من الاحاديث والمعاريض ما يندرج
السؤال فى تضاعيفه على ألطف ما يمكن فى ذلك وأقربه من النادرة
والفكاهة كما فعل المفضل الضبى وبايت المهدى فلم يزل يحادثه
ويناشده حتى جرى ذكر حماد الراوية فقال له المهدى ما فعل عياله
ومن أين يعيشون قال من ليلة مثل هذه كانت له مع الوليد بن يزيد

باب هيئة النديم وما يلزمه لرئيسه

وحكمه ان يحضر بزى الموكب ولبسة الخدمة والزى الظاهر الذى يعرف به و يشهد فيه المجالس الحافلة من غير أن يتفضل بشئ من ثيابه ولا يتشهر فان شاء الرئيس أن يغير زيه و يكرمه بشئ من ثيابه خلع عليه الملون والمشهور من اثواب الندام حسن أن يلبس ذلك فى وقته حتى ينقضى المجلس ولم يحسن أن يحضر فيه ظاهرا فى مجالس آخر لانه شئ كان الرئيس اختاره فى ساعة طربه وتبذله لا فى كل أوقاته فاما العمامة والخف فسبيله أن لا يخل بهما وله أن يلطفهما و يخففهما وانما الغرض فى ملازمتهما أن لا يحسر الرأس وتبدو القدم و يذهبون بذلك الى اجلال السلطان العظيم عن مشاركته فيما اتسع له من التبذل والتغيير فى الزى الذى لا مشقة ولا ثقل فيه والانفراد منه بما يتفصل به عمن هو دونه وهذا مما يسلك فيه سبيل ملوك الاعاجم وكانوا رسموا لكل طبقة من طبقات أهل ممالكهم برسم من الزى ليتميزوا ولا يشتبه سوقة بملك ولا دنى بشريف ولا تابع برئيس ولكل أهل عصر زى الا أن الاكثر والاشبه بأهل عصرنا وما قرب منه ما ذكرناه لحجة فى استحسانه وايثاره مما ينباه ومما يأخذ به نفسه الاسراع فى الخطو اذا كان حيث يراه الرئيس حتى تكون مشيته ارقالا ولا تكون اختيالا ولهذا وما أشبهه من التحفظ صار ندام النظير أنعم وأترف وان كان ندام العظماء أجل وأشرف وخبرت عن الطبقة العالية من ندماء الخلفاء الماضين انهم كانوا يجتمعون

فى منزل أحدهم فاذا شئ بعضهم فى ذلك الموضع مشى مسرعا
وسئل أحدهم عن السبب فى ذلك فذكر انه انما يفعله فى كل
موضع وان كان لا يلزمه الا فى مجلس الخليفة حذرا من أن يخل
بالعادة فيعدل عنها فى موضعها فاستحسنت تلك الرياضة ومما يلزمه
أن يتحفظ منه أيضا ويروض نفسه به أن لا يصجه ولا يمسه ولا يشمه
ولا يخبره وانما ترك ذلك كله لما فيه من تكلف الجواب وليس
من حق المنادم ذا الرياسة والسلطان اذا تبين لنديمه منه لين الخلق
ووطاء الكنف وخلع ثوب الكبر أن يستعمل معه من الدالة
ما يجحده حق رياسته ويقدح معه فى سلطانه ويفسد عليه تدبيره
ويقال ينبغى ان خص بالسلطان ان يستعد للذنب لم يجنه وأن
يكون آنس ما كان به أوحش ما يكون منه فان سلم من ذلك كله
فواجب عليه أن لا يخل بتوقى الملال والتحرز من وقوعه وقد قال
عبد الله بن جعفر من أعظم الطرق الدالة على السلطان هو بينا
المأمون ينادم ابراهيم بن المهدى بعد رضاه عنه وتعديده ما كان منه
تبين منه دالة اذكرته بما تقدم من ذنبه فنهض وأمر باقراره ومن
كان معه على جماتهم ثم صار الى مجلس جده فاستوى على سريره وتزيا
بزى الخلافة واختصر القضيب وتجلبب بالبردة ووضع الجند فى
السواد والاسلحة ومد السماطان وشهرت السيوف والاعمدة
ثم احضر ابراهيم معتما معسوفا فلما مثل بين يديه اطرق عنه ملبا ثم
رفع رأسه وابراهيم يرعد فقال يا ابراهيم ما حملك على ما كان منك قال
كرسى خلا من صاحبه يا أمير المؤمنين فكنت جديرا بحفظه عليه

حتى أعاده الله اليه وقد سبق من عفو أمير المؤمنين ما لا أخاف عليه
الحؤول عليه فقبل عذره وأحسن جائزته ورده الى مكانه وعاد
المأمون فى مجالس الندام من وقته (وخبرنى) أبى عن أبيه رحمهما الله
قال كان بنادم اسحق بن ابراهيم الطاهرى جوهرى من جلة التجار
ووجوههم حتى خص به وتبين لطف موقعه منه ولم يكن أحد
يتقدمه عنده وكانت فيه دالة ومعه أدب يستحق له تلك المنزلة قال فانه
لمعه ذات يوم والستارة منصوبة اذ وصف للمتوكل فص كبير جليل
المقدار كان وقع الى هذا الجوهرى فوقع الى اسحق باحضار هذا
الرجل ومطالبته بالفص ومناظرته على ثمنه ووافى التوقيع فلما
نظر اليه دعا بالجلادين والسياط فأمر بتجريد الرجل فقال أيها
الامير ما قصتى ما سبى فلم يذكر له شيأ حتى نصب بين العقابين وكاد
السوط أن يأخذه فلما علم انه قد رهب وسكر قلبه من الرعب
والهيبة ما انساه الدالة والمنادمة قال له فص عندك من حاله وصفته
فقال احضره الساعة فأمر الامير باطلاقه حتى اتيه به قال لا سبيل
الى ذلك فدعا بدواة وقرطاس وكتب وهو فى تلك الحال الى ثقته
فى منزله بعلامة قوية وأمر باحضاره الفص فاحضر فى منديل
وختم عليه وأنفذه ثم قام بنفسه الى الرجل فتولى حل وثاقه
واعتنقه وخلع عليه من فاخر كسوته وقال لم يكن من حق السلطان
الا ما رأيت ولولم أفعل ذلك لما أمنت دالتك ولا كنت تخرج مثل
هذه العقدة النفيسة بتمسح اعطافك ولحنى من امير المؤمنين
ما يفسد حالى وحالك فسكن الرجل الى عذره وقبله

باب ما يلزم الرئيس لنديمه

قد ذكرنا من حال الرؤساء فيما يستبدون به دون ندمائهم بحمل السلطان وخطر الرياسة ما أوجزناه وليست تلك الحال خاصة الا للملك الاجل الذى لا يسعه الاخلال بالهيبة فاما من دونه فالانصاف فى المنادمة واغلاق باب التدفع والتحفظ وايثار الانبساط والتبذل أولى بهم وأدل على كرم العشرة وحسن الصحبة وعلى انه قد كان من الخلفاء والامراء من يتوخى هذه الحال مع مجالسيه ومنادميه كفعل عمر بن عبد العزيز وطرفه وجابر بن حبوة فنهض فاصلح السراج وعاد الى موضعه فاكبر ذلك رجاء فقال قمت وأنا عمر وعدت وأنا عمر * ويزيد وكان ينادم الاخطل وهجا الاخطل الانصار هجاء كثيرا فجاروه منهم وكان يسوى بينه وبينه فى أكرم المواضع من مجلسه وهو أميره والوليد بن عقبة ولم يزل ينادم أبا زبيد الطائى والياً ومعزولا على وتيرة واحدة من الانصاف لا ينتقل عنها ويجله ويعظمه ولا يقدم أحداً عليه حتى هلك أبو زبيد فوجد عليه وجداً شديداً ثم اعتل فيقال انه دفن الى جانبه ومر بقبريهما أشجع ابن عمرو السلمى ومعه صديق له يقال لهما حمزة وسعيد فوقف بهما ثم قال

مررت على عظام أبى زبيد * رهينا تحت موحشة صلود
نديم للوليد دعا فاضحى * مجاورة بقبر قبر الوليد
وما أدرى بمن قصر المنايا * بأشجع أو بحمزة أو سعيد

فيقال انهم ماتوا على هذا الذوق اولا اولا * والوليد بن يزيد بن عبد الملك ندبه أبو كامل الذى يقول فيه

من مبلغ عنى أبا كامل * أنى اذا ما غبت كالذاهل

وحكى عن الرشيد من حسن الجالسة ولطف البر فى المؤاكلة ما يجاوز هذا كله وهو ان الفزارى قال دخلت اليه بالرقة فى قصر الخشب ولم يكن معنا ثالث غير من يقوم بين يديه من خاصة حشمه فتحاورنا ملياً ثم أومأ الى بعضهم بجاء بطبق كبير مغطى بمنديل فاستخرج رطبة فاكلها ثم استخرج اخرى فأومأ بها نحوى فقمت فتناولتها وقبلت يده ثم أمر برفع المنديل فلما رفع لم أر فى الطبق شيأ فقال انه كان فيه رطب أهدى لنا من العراق ولا تحين الرطب ولم يكن بقى غير ما رأيت فعلمت انه أمر بتغطيته لئلا أرى قلته فامتنع من أكل الرطبة التى ناولنيها وأوفرها عليه * وقد رأينا جماعة من جلة الرؤساء وعظماء أصحاب السلطان يبتذلون أتباعهم ويتهنونهم فى الخدمة فيبارفعون عن مثله بعض ما يكلفهم فاذا خالطوهم للمنادمة استترت بهم العشرة فاوسعوهم من المبرة والتكرمة وربما تجاوزوا فى ذلك الحد فخدموهم وأخدموهم أولادهم واتصبوا وأتكؤهم وتأخروا فى المجالس وصدروهم فلا يقدح ذلك فى رياستهم ولا يحط من منزلتهم بان تسترقاهم قلوبهم ويستخلص به نياتهم وأنشدنى منشد

فتى اذا ما الحرب قامت به * قام مقام الاسد الورد
كأنه عبد لاخوانه * وليس فيه خلق العبد

وقال

(وقال آخر)

وانى لعبد الضيف مادام نازلا * ومانى الا تلك من شيم العبد

ويلزمه أن لا يسقيه من غير ما يشربه الا باختياره واستدعائه شرابا يستطعمه ويرى أنه ملائم لجسمه فيسقيه مما يلتمسه من موجوده ولا يمنعه كل ما يستزيده من المزاج ٣ ولو لم يتجنب ما ذكرناه فى تلوين الشراب الا الاسار فى هذا المعنى من قول الشاعر

رأيت نبيذين فى مجلس * فقلت لاخوانى اما السبب

فقالوا الذى نحن فى بيته * يفضل قوما لسوء الادب

وقال العطوى

نبيذان فى مجلس واحد * لتفضيل مسئر على معسر

فلو كنت تفعل ذا فى الطعام * لزمت قياسك فى المسكر

وكان بعض الكرماء يأخذ نفسه باحضار الدن بطينه فيصبه حيث يراه اخوانه وندماؤه فيبزله بين أيديهم ويملأ منه الآنية حتى يتبينوا ان الشراب واحد لا خلط فيه * ومن أبين الانصاف فى هذا الباب ان يفرد كل نديم بآلته ومزاجه ويحكم على نفسه ويقلد ساقيها على حسب طاقته واحتماله الا من كان متجملا غير متسع فى الآلة والآنية فهما أعجزه وتعذر عليه من ذلك فان العدل فى الساقى يمكنه ولا يعجزه ويستحسن لابى نواس نحو هذا

ولست بقائل لنديم صدق * وقد أخذ الشراب بوجنتيه

تناول لها والا لم أذقها * فيأخذها وقد ثنيت عليه

ولكنى احيد الكاس عنه * وأتركها بغمزة حاجبيه

٣ قوله ولو لم يتجنب الخ جواب لو محذوف تقديره لما كان فى مثله

فان طلب الوساد لوم سكره * دفعت وسادتى أيضا اليه

ومثله قول السرى بن عبد الرحمن فى ظرفاء من الجازيين

اذا أنت نادمت العتيد وذا الندى
جميعا ونازعت الزجاجة خالدا
أمنت بحمد الله ان تقرع العصا
وان يوقظوا من نومة السكر راقدا

وخالف الحسين الضحاك أبا نواس فى ابيانه فقال

يا مدير الكاس حييت على الكاس مديا
ما أقول الدهر أحسنت وان كنت مسيا
لست استعفيك من حيث فى السقى عليا

وفيها يقول

قد حلبت الدهر ما ورين خليا ونجيا
فارى من عدم الصبوة والكاس شقيا

وجود بعض الكتاب فى قوله

ولست بمستعف من السكر صاحبا
اذا كان يهوى ان اصير الى السكر
ولكننى أسعى الى السكر وانثنا
بما فيه ان اخطأت من سعة العذر
وان هو أعفانى سكرت ولم أكن
لاكثر من شرب يزيد على القدر

باب الادب فى الشطرنج

واما الشطرنج فليس غرضنا ذكر فضائلها فنعدد من ذلك ما نسهب فيه ونأتي بما ذكره المتقدمون ونجتهد في الزيادة عليه وانما نتوخى التنبيه على ما يحتاج اليه النديم في حال اللعب بها من الادب الذي يقرب به من قلب رئيسه عند مقابلته اياه بحقه ين على الشطرنج فانه لا يكون بينهما الا مساحة الرقعة ولعلها لا تزيد على الذراع كثيرا والزمان بينهما يطول فيها فواجب على النديم ان يتحفظ من نفسه ويتعهد من احوال ظاهر جسمه وباطنه وشاهده وغائبه ما يامن معه أن يسبق الى طرف الرئيس وانفه من جهته حال يذمها وليكن على اوكد ثقة بنقائه من الخلوف ونزوه من الدنس وصفايته من الدرن بتوفية هذه الاشياء حقها من التنظيف والتطييب وليس حق نفسه عليه اذا كان عالي الطبقة ان يضعها حظها ولا يحطها عن درجته توهما ان تقاربه للرئيس ألطف لمنزلته عنده وأعطف بقلبه عليه كما انه ليس من الرئيس المصطفى له عليه أن يتصور بصورة من يغالطه ويسخر منه باعطائه ما ليس له وعلى ان عقول الرؤساء أقوى وفطنهم أرق من أن يجوز عليهم مثل هذا ولم توضع الشطرنج على الانصاف والعدل ويدلك على ذلك ان أصلها التكافؤ والقيام اذا وفى الدثار والحساب من كلا الجهتين حقهما وأخبرني أبو الحسين علي بن أحمد الكاتب ان أبا بكر الصولي لما حضر مجلس المكتفي بالله أمير المؤمنين في ابتداء دخوله وكان قبله الماوردي أثيرا عنده مقدما من قلبه محببا بلعبه فلما لاعبه الصولي بين يديه حمله حسن الرأي في الماوردي والالف له على نصرته وتشييعه

وتنبيهه حتى أدهش ذلك أبا بكر في أول وهلة ثم لما اتصل اللعب بينهما وقصد أبو بكر قصده غلبه غلبا لم يكد يرد عليه معه دستا وتبين الحق للمكنى فعدل عن الهوى وقال لما ورد ما ورد لك بولاه و بلغني أنه رأى بساتين مونقة وزهرا حسنا فقال لجلسائه وندمائه هل رأيتم منظرا أحسن من هذا فكل قال فيه شيأ ذهب فيه الى مدحه ووصف محاسنه وانما الذي لا يفي بهذا شئ من زهرات الدنيا فقال كعب الصولي أحسن من هذا الزهر ومن كل ما تصفون * ومما يستعمل على الشطارج النوادر المدهشة وأقول انها في تلك الحال بمنزلة الارتجاز الذي يستعمله المقاتل عند اللقاء والحادي عند الاعياء والمائح عند الاستقاء فهي من عدة اللاعب كما ان الشعار والارتجاز من آلة المحارب وقد قيل في ذلك

كم من ضعيف اللعب كانت له * صونا على مستحسن القمر

ولست أستحسنها الا في موضعين * أحدهما عند وقوفك على الضربة الغريبة الحسنة الدقيقة وامكانها اياك بان يكون اللعب لك وفي يدك مثل الشجاع الذي اذا رأى مساغا نابيه صمم وان شغلت نفسك بتلك الاعاجيب وانت محتال للعب صرتا للغلب انقطعت بذلك عن الصواب وان لم يكن اللعب في يدك نبهت بما يظهر في ذلك العبث من نشاط خصمك على تنقد ما لاح لك فتحرز منه * والآخر عند وقوفك على امكان الضربة الجيدة صاحبك وتمهيلها الدونك فانت بما تستعمله في تلك الحال تشغله وتدهشه حتى يكاد يعمى عن رشده واذا كان القمر لك فاحسن احوالك التركيز على الاحسان ان كنت مختارا وكذلك ان

اتصل

اتصل القمر عليك لان الاحماح واللجاج لا يزيدك الا بلادة وقد قيل
في الشطرنج اشعار كثيرة فأما طوالها فكثر فيه الحشو بما اضطر اليه
القائل من الاقتصاص وقلما اقتصت حال في شعر الا كان مضعوفا
الأبياتا كثرا الشك فيمن تعزى اليه وأولها

أرض مربعة حمراء من أدم
ما بين خلين موصوفين بالكرم
تذاكر الحرب فاحتالا لها شبها
من غير أن يأتيا فيه بسفك دم
هذا يغير على هذا وذاك على
هذا بغير وعين الحرب لم تنم
فانظر الى خيل جاشت بمعرفة
في عسكرين بلا طبل ولا علم

وأبياتا تعزى الى أبي الحسين أحمد بن محمد بن ابي البغل الكاتب وهي

في نصب الشطرنج كيما يرى بها
غرائب لا تسمو اليها عين جاهل
فابصر أعقاب الاحاديث في غد
بعين مجد في محيلة هازل
وأجدى على السلطان في ذاك أنه
اراه بها كيف اتقاء الغوائل
وتصريف ما فيها اذا ما اعتبرته
شبيه بتصريف القنا والقنابل

قوله خل غير ناء الوزن اه مصححه

وغاما النرد ففيها نوع من اللعب وصنوف من الترتيب والنصب الا ان عدد البيوت واحد لا تنقص فيه ولا زيادة على الاصل المتعارف والقصان فيها محكمان وصاحبها مع ذلك وان لم يكن مختارا وكان منقادا الى حكم النصين محتاج الى ان يكون سريع النقل رشيقه صحيح الحساب مصيبه حسن الترتيب جيده ولبعض الادباء فيها أبيات وهى

لا خير فى النرد لا يفنى عمارسها
فضل الذكاء اذا ما كان محروما
تريك أفعال قصيها بحكمها
ضدين فى الحال ميمونا ومشؤما
فانك كادترى فيها أخا أرب
يقوته القصر الا كان مظلوما

(وكتبت الى صديق لى اذم النرد اليه وكان يهاجها)

أيها المعجب المفاخر بالنر
د ليزهى به على الاخوان
قد لعمرى حرصت جهدى على ليـ
ـكذا لو لم يأتك النقصان
غير أن الاريب يكذبه الظن
ويفى بشدة الحرمان
ولعمرى ما كنت أول انسا
ن تفى فاخلقته الاماني

واذا جاءت القضاة بحكم
لم يحد عن قضائها الخصمان

وأنشدت لابي نواس في التزهد

ومامورة بالامر تاتي بغيره
ولم تتبع في ذاك غيا ولا رشدا
اذا قلت لم تفعل فليست بطيعة
وأفعل ما قالت فصرت لها عبدا

انتهى بنا القول الى هذه الغاية وفي بعض ما قدمنا كفاية لذي التمييز والفطنة وهداية الى كريم الاخلاق في المنادمة وان لم نكن أحطنا بما يفي بشرطنا في التشبيث فقد نبهنا على يسير ما تهيأ أن نذكره على الجليل ودللنا بالقليل منه على الكثير ونرجو أن نسلم مع ما قصدنا له من الحض على جميل المروءة ونهجنا من السبيل الى حسن العشرة عما يعتني به مؤلف الكتاب من المطاعن ويستهدف له من المعايب ان شاء الله تعالى

نحمدك يا من زينت الانسان بحلية الادب ورفعت به شأن النديم فسما أسنى لرتب والصلاة والسلام على أشرف من تكملت به الآداب وأفضل من أوتي الحكمة وفصل الخطاب وعلى آله أولي الاخلاق الشريفة وأصحابه ذوي المناقب والفضائل المنيفة (وبعد) فيقول المتوسل بجاه النبي الخاتم خادم التصحيح بدار الطباعة محمد قاسم قدم بالمطبعة الاميرية ببولاق التي أينعت

ثمارها بسائر الآفاق طبع أدب النديم المسفر عن كل خلق
جميل قويم لمؤلفه العلامة الفاضل النحرير اللوذعي الكامل
مرصع الطروس بلآلئ نظامه محلى نطاق البلاغة بجواهر كلامه
من جمعت ورق ألفاظه بفنون الادب على أفنان المعارف
وأشرقت مطالع بيانه بانوار بدور اللطائف أبي الفتح محمود كشاجم
ابن الحسين أنعم الله تعالى عليه في دار الكرامة بما تقر به العين
ولعمري انه لكتاب عديم المثال عزيز الوجود بعيد المنال يرشدك
كيف تنادم الملوك والامراء وينبهك على شمائل الظرفاء واللطفاء
فلله دره ما أثمن دره وما أبدع فوائده وغرره يروق الانظار
بسلاسة مبناه ويجب النظار بجزالة معناه هذا وكان طبعه
الفاخر ووضعه الأنيق الباهر على ذمة من جدت آراؤه فيما
يعيد ويبدي سعادة محمد بك حمدي في ظل من نضرت به الايام
وشمل بجوامع احسانه الانام صاحب السعادة وكوكب أفق
السيادة والجلاده من هو باحسن الثناء عليه حقيق الخديو الاعظم
محمد توفيق لازالت مصرنا آمنة به في ظلال رياض عدله رافلة
في مطارف عزه وفضله مشمولا طبعها بادارة صاحب نظارتها
المشمر عن ساعد الجد في تحرير نضارها ونضارتها من جواد براعه
في ميدان البراعة سباق الى الغايات سعادة علي بك جودت مدير
الوقائع المصرية وناظر المطبوعات ملوحة بنظر من به المعارف الى
ذروة الكمال رقت وكيلها حضرة عبيد الله افندي خيرت
وملاحظة البارع الامجد حضرة ابي العينين افندي احمد وطلع

بدرغامه وفاح عبيره وملك ختامه في أوائل رجب الحرام
عام ثمان وتسعين ومائتين وألف من
هجرة سيد الانام صلى الله عليه
وعلى آله وصحبه
وكل ناهج على
منواله
تم

obeikandl.com